

مقدمة لدرس لغة العرب

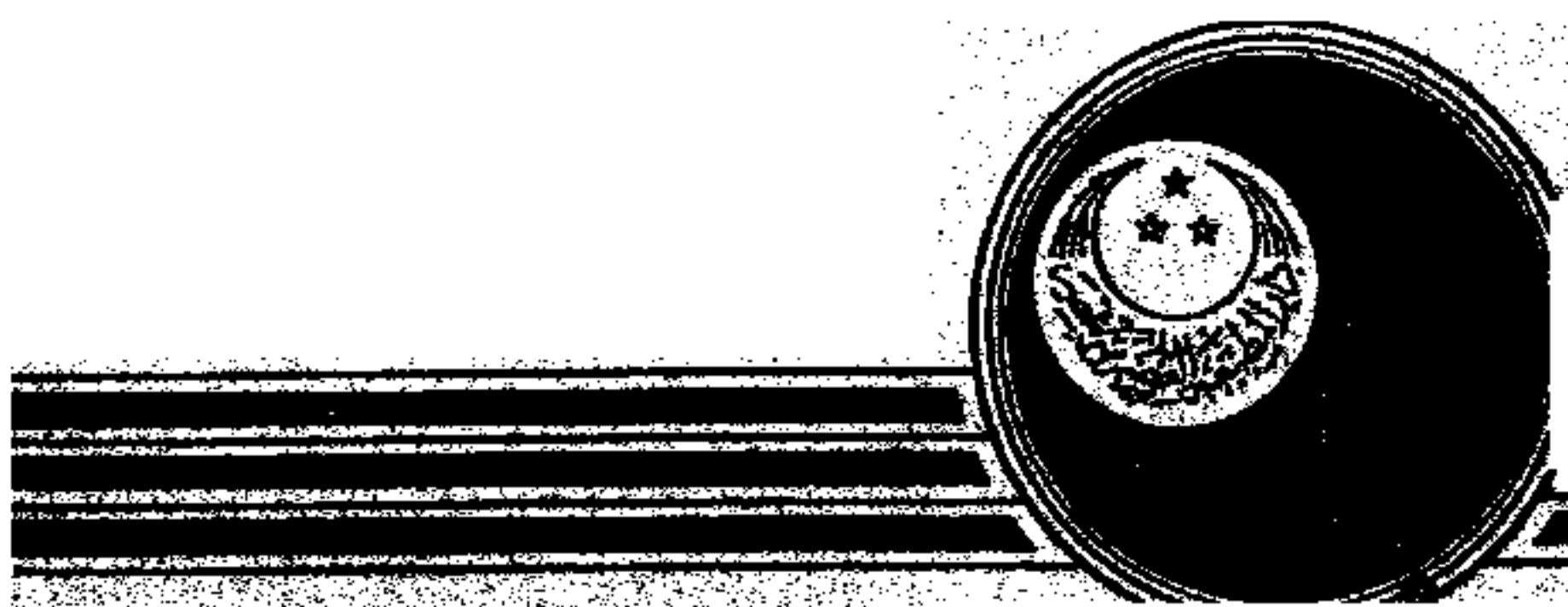
و
كيف نضع المعجم اجتهادياً

تأليف

عبد الله العلامى

المطبعة العصرية

بالفجالة، شارع الخليج الناصرى رقم ٦، بمصر



اهداءات ٢٠٠٣

محمد الرزاق باشا المنصوري

القاهرة

الرهراء



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

« إِنَّمَا بِسْمَةِ الْحَيَاةِ أَمَانِيٌّ . فَأَعْظِمُ بِبِسْمَةِ الْأَمَالِ »
« يَا مَلِيكَ . بَدَتِ طَلَائِعُكَ الْفَرَا . فِي مَجْدِ أَعْظَمِ اسْتِقْلَالِ »
« عِلْمٌ فِي الْجَنُوبِ قَدْ ظَلَّلَ الْأَ . جِيَالَ نَبَهَا وَآخِرٌ فِي الشَّمَالِ »

« صَفَحَاتٌ مِنْ الْحَيَاةِ نَوَاقٍ كَمْ تَضِرُّهَا ذَاتِيَّةُ الْأَفْعَالِ »
 « رَجَعَتْهَا قَيْشَارَةٌ أُخْلِدُ لِحَنًا وَشَدَّتْهَا الْأَمْلاكَ فِي الْأَصَالِ »
 « مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ يَبْتَسِمُ النَّاسُ رِيحُ عُجْبًا لِلطُّهْرِ فِي الْأَنْعَمَالِ »
 « صَفَّرَ «الغَار» فَوْقَ مَفْرِقِكَ الْوَضَاءُ » ٢٠ « أَكْرَمَ بِوَأَحِدِ الْأَبْطَالِ »



« يَوْمٌ «مِصْرِي» وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَصْرِ ضَمَّهَا الْحُبُّ غُورَهَا وَالْعَوَالِي »
 « مَوْكِبٌ رَائِعٌ تَنْظَمَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهِ أَكْبَرُ بِهِ مِنْ مِثَالِ »
 « نَضِجَتْ فِي الْجُمُوعِ نَفْسِيَّةُ الْمَوْطِنِ فَالْتَامُوا فِي عُرَى الْأَوْصَالِ »
 « يَا مَلِيكَ «الْعَهْدِ السَّعِيدِ» عَلَى ٢٠ « الدَّهْرُ دَوَامًا فِي ظِلِّ الْأَسْتِقْلَالِ »



« وَفُؤَادٌ » قَدْ شَادَ لِللُّغَةِ الْفُصْحَى ٢٠ « مِثَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ »
 « كَانَ حَامِي الْبَيَانَ فِي مِثْلِهِ اللَّيْثِ فَأَخْلِدُ بِذِكْرِهِ وَالْمَعَالِي »
 « كَانَ رُوحًا يُشِيعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ رَشَحَ الظَّلَالِ »
 « أَوْ كَأَنْدَى مِنَ الظَّلَالِ بِأَلَا وَهَنَاءٌ مِنْ الْقَرَّاحِ الْخَالِي »



شكر

أريد أن أقول كلمة واجبة ، أشكر بها العالم اللغوي الياس أنطون الياس صاحب المطبعة المصرية ، الذي جعل من الكتاب حقيقة ذاتة تعيش مع جمهور كبير ، قد يرضاها وقد يتسخطها . بعد ان كانت تعيش دون ما به يكون الحي ، أي فكرة فقط وشخصية أيضاً .

وأية كلمة ، شهد الله ، لا أراها كفيلاً بما أشعر نحوه من شكر وتقدير ، وليس لأنني أفدت بشره ، بل لأنه يخدم فكرة ويبشر بمبدأ ويوجه الدراسة العربية وجهة أخرى ، ربما كانت أصح وأكثر ضماناً لحاج العربية ، ووفاء بمحاجتنا منها كلغة .

وهذه الداعية التي تنتظم كل مشاكل اللغة ، والتي لا تفتأ جاهدة في تهيئة الوضع الثابت للعربية هي الدافع الحقيقي للأستاذ الفاضل الى نشر كتاب يعرف بسبيل جديد عليه يأتي محموداً ، أولاً ، فلا أقل من أن ينبه الى معالجات أخرى غير ما كنا نعرف . والإستاذ بعد ذلك ليس بغير عن المحيط اللغوي ، فله فيه أثر كبير أو أكبر الآثار . وبمحبته أنه ركز الترجمة القاموسية على شكلة الصواب . وفي الحق انها معاجم مبنية على مبالغة في التحري ، وزيادة في التقيب ، ومرعاة صحة الدلالة ، وأخذها على الوجه الطباقى .

فاذا كان لي أن أشكره على أن نشر كتابي ، فاني لأجدد بأن أشكره على أن خدم جمهرة المتقنين ، بإنجاده لغة العلم ومدته لغة التعليم .

مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر

أما أن أتصدى لكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، فذلك مهم لا يحسدني عليه أحدٌ ممن يعرفون الحالة العقلية التي خلفتها عشرات القرون في العالم العربي. ولا يقتصر إشفاقى على نفسى ، فإنى لا أكثر إشفاقاً على الأستاذ عبد الله العلابلى فانه بنشر هذا الكتاب ستدور عليه رضى تلك القرون التي تعدُّ بالعشرات ، وسيظل غرضاً يرمى بثقالها وبلهوتها ، حتى يفتح هذا الشرق العربى عينه على الحقائق ويروى نفسه على مواجهة الواقع تاركاً من تقاليد القديمة ما ينافى روح هذا العصر ، مستمسكاً منها بما يلائم الحضارة الحديثة متخذاً منه دعامة لارتقائه وسنداً . فان الجرى على قواعد وضعها اللغويون القدماء - لهم من الله الرحمة ولهم منا عظيم الاجلال والاحترام - واتخاذ تلك القواعد أساساً للغة العرب ، قد ألبس الحالة التي انحدرت اليها لغة آباؤنا حلة من القداسة ، حتى لقد يخيل للكثيرين ممن لا يدركون أسرار اللغات ان المساس بتلك الحالة ، عن بعد أو عن قرب ، انما يكون تهجماً على حرمتها وانها كالقداستها .

أما القول بأن القواعد التي خلفها السلف الصالح من اللغويين قد لا يستها حالة من القداسة ، فأمر لا جدال فيه ، وهو من حيث أنه بديهي ولا ريب فيه ، لا يقل عنه بداهة قول التطوريين^(١) ان سلفنا الصالح لم

(١) القائلون بذهب التطور ، وهو مذهب تخضع له اللغة خضوعاً تاماً .

يلجأ الى تلك القواعد ولم يقررها الا لحاجة غلبت على عصورهم ، فأرادوا بهارد عادية الرطانة والعجمة عن اللغة . ولقد استطاعوا بكدم وجددم وصفاء قرائتهم أن يضعوا للغة العرب سوراً أشد من الصلب مرة بحيث تقصر عنه هجات الشعويين وأهل العجمة ، فحفظوا بذلك هيكل اللغة صافياً وموردها عذباً غير مدّس بأككار الدخيل من لغات الشعوب التي اختلطت بالعرب بعد القرن الثالث الهجري .

لقد نظم السلف الصالح ظلماً كبيراً اذا نحن رميناهم بالجمود أو نسبنا اليهم ظلامية العقل والتفكير وحكمتنا على القواعد التي وضعوها وقسناها على حاجتنا في العصر الحاضر ، من غير أن نلّم بالحالات التي قامت في عصورهم ، ولو أننا رجعنا الى الحالات التي شهدتها أهل العربية في أوائل القرن الرابع الهجري ودخول أقوام بعيدين عن العروبة في جسم العالم العربي يستعملون لغة القرآن فيفسدون من كيانها ويهدمون من بنيتها ، حتى لقد طغى على العربية في ذلك العصر مدّ من العجمة ، رأينا أن سلفنا الصالح لم يجد من سلاح يقاوم به ذلك الطغيان إلا تلك القواعد التي سور بها اللغة وأخذها حصناً لها حصيناً . نضرب بذلك مثلاً من القواعد التي وضعوها في القياس والسمع ، إذ قالوا بأن الكثرة حد القياس والقلة حد السماع . فما اعتبر قياسياً كان لك أن تصوغ على منواله ، وما اعتبر سماعياً فلك أن تستعمل ما ورد منه عن العرب من غير أن تقيس عليه . هذا التل وحده يظهرنا على جلال الحكمة التي لجأ اليها قدمائونا . فأنهم بها حفظوا هيكل اللغة كاملاً . فكانت تلك القواعد في لغة العرب بمثابة المنطق في الفلسفة ، كلاهما قانون ثابت : ذاك للسان ، وهذا للعقل .

وبالرغم مما في هذا المذهب من صلابة وبعد عن المرونة ، فقد قبله المتكلمون بلغة العرب في العصور الأولى . ذلك بأنهم قد شعروا شعوراً باطنياً بأنه السياج الذي يحول بين العربية والعجمة التي كادت تغزو لغة العرب وتذهب برمجها . وإذن يكون المذهب القديم في اللغة ضرورة اقتضتها حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية قامت في تلك الأزمان . هذا فضلاً عن أن لغة العرب وهذه حدودها قد وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها ، فلم يشعر أهل اللغة بحاجة الى التوسع في أقيستها توسعاً يلائم حاجات قامت في عصرهم قياماً فعلياً . الى جانب هذا المذهب الصلب الشديد قام مذهب آخر يوسع من أقيسة اللغة جهد ما يصل تصورك .

مذهب يقول بان كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فاذا سمعنا من العرب قولهم خِنُوسٌ للأسد ، وقسنا عليه أسماء لحيوانات تعيش في الأشجار وقلنا لواحدٍها شَجُورٌ فذلك من كلام العرب . واذا سمعنا من العرب لفظة كوسج وقلنا شوَجِرٌ فذلك أيضاً من كلام العرب . غير أن انتشار العجمة في ذلك العهد وكثرة الموالى والدخلاء جعل الغلبة للمذهب الاول . ذلك بأن العربي كان يعتز بلغته اعتزازة بقوميته ، فلجأ الى الآمن من السبل احتفاظاً بترائه اللغوي أن يستهدف لأذواق لم تصقلها السليقة العربية .

كلا المذهبين على جلالهما وعظيم ما قدما للغة القرآن من خدمات لم يدرك أهلها ما ندرِك اليوم من تصور اللغة . فاللغة في تصورنا الحديث جسم حي ، يولد ثم ينمو ثم يتوالد ، واللغة حي يموت كما تموت جميع الاحياء ،

إذا امتنع عليه الماء وتعذر التوالد . وللغة كل خصائص الأحياء مع قياس الفارق . فإذا لم يكن في اللغة القدرة على التغذى بعناصر جديدة ، وتمثيل تلك العناصر تمثيلاً يحولها جزءاً من أصل بنيتها ، فإن اللغة تموت كما يموت الحي إذا فقد القدرة على هذه الأشياء .

أصنف إلى ذلك أن اللغة تنمو بنماء الحضارة وتقوى بقوتها . فإذا انحدرت الحضارة في مهاوي الفساد انحدرت معها اللغة إلى الجمود والاستحجار . وهناك تجرى عجلة الزمان بغيرها من اللغات التي يتكلمها المتحضرون ويستعملونها في أغراضهم الثقافية ، فإذا مرَّ الزمان وكرت القرون على لغة جمدت ، تعذر عليها أن تلاحق غيرها من اللغات في مضمار الرقي والحياة العملية ، مالم تنشط نشاطاً كبيراً في استخدام مواردها وأصولها ونواحي المرونة فيها لتستكمل عدتها وتستوفي شروط البقاء بقدرتها على التعبير عن مختلف الأغراض التي رُصدت اللغات لتحقيقها . هذا الذي نعلم الآن من أمر اللغة يحملنا على أن ننبذ المذهب الأول ، مذهب الصلابة والتقيّد ، ويرميننا في أحضان المذهب الثاني ، مذهب التوسع والسماحة ، وعلى قدر ما شعر أوائلنا من حاجة إلى المذهب الأول ليدروا به عن اللغة مدّ العجمة ، نشعر بحاجة إلى المذهب الثاني لننفض عن اللغة العربية الحنيفة ثوب البلي الذي لا يسها مع كر السنين وتلاحق الأعوام ، ولتقابل به حاجات هذا العصر ومطلوباته العلمية والفنية والادبية .



ان الاستاذ العلابي بكتابه هذا أول من يرسل الصيحة الاولى لقيام

مذهب التوسع في اللغة . واذا أردت أن تعرف ماهية هذا الكتاب فاعرف أنه تحقيق عملي قويم لمذهب الامام ابن جنى القائل بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

واني لأرجو أن يكون صدور هذا الكتاب قائمة عصر جديد . عصر يقتنع فيه القائلون بقصور اللغة العربية عن تأدية الأغراض العلمية والفنية ، بأنها أوسع اللغات قاطبة وأقدرها على التعبير بذات مواردها ، وإن فيها من عناصر الحياة ما سوف يجعلها لغة العلم والفن في الشرق القريب كله ، وإن كلام شاعرنا حافظ بلسان الشرق :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في ما قينا
كنا قلادة هذا الدهر فانقرطت وفي عين الملا كنا رياحينا
كانت منازلنا بالعز شامخة لا تطلع الشمس الا من مغانينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا مال ولا نسب ولا صديق ولا خل يواسينا

إنما هو كلام أترى نستدل به على حال غبر ، وعهد غبر ، وإن لنا من قوميتنا ولغتنا وجامعتنا العربية لقوة سوف تضعنا على هام الأمم عما قريب ما

استعمل نظره

سكرتير المجمع الملكي المصري للثقافة العلمية

فهرس

صفحة	صفحة
	الاهداء ٠٠٠
	شكر ٠٠٠
	مقدمة للامتاذ الكبير اسماعيل مظهر ٠٠٠
	دياجة ٢
	تصدير ٣
	القسم الاول :
	اللغة غاية لا وسيلة ١٥
	العربية واللغات ٢٥
	الخط ٣٩
	الاملاء ٣٩
	البيان ٤٢
	المعاني والبديع والنحو والصرف ٤٥
	المروض أيضاً ٤٦
	داء العربية ودواؤها ٥٣
	المجمع ضرورة ! ٩٦
	المجمع والمصطلحات العلمية ١٠٣
	اقتراح ومناسبة ١٠٦
	المعجم كيف نضمه ؟ ١٠٧
	دراسة التخصص في اللغة والأدب ١١٥
	القسم الثاني :
	عرض ومقابلة ١٢٢
	الدور الأول ؛ الانسان الفطري ١٢٥
	لغة الانسان الفطري ١٢٦
	الدور الثاني ١٣١
	الدور الثالث ١٣٧
	الحلقة الأولى ١٣٩
	الحلقة الثانية ١٤٠
	الحلقة الثالثة ١٤٢
	الحلقة الرابعة ١٤٦
	الحلقة الخامسة ١٥٢
	التطور في اللهجة ! ١٥٦
	المهد الصوتي ؛ الدور الاول ١٦٠
	الدور الثاني ١٦٤
	الدور الثالث ١٦٥
	المهد اللفظي ؛ الدور الاول ١٧٤
	الدور الثاني ١٧٥
	تأريخ النظرية ١٧٨
	تطور اللغة ١٧٩

صفحة		صفحة	
٢٢٤	الرد إلى الأصل	١٩١	تعليق وامتناع
٢٢٤	الضد		
٢٢٦	الترادف		
٢٢٧	تداخل اللغات	١٩٧	السمع أو ليس في كلام العرب .
٢٢٩	الرباعي	١٩٩	الثلاثي
٢٣٢	الرباعي المثلي أو الجملي	٢٠٥	تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير .
٢٣٤	الرباعي غير الأسم	٢٠٩	القلب أو قاعدة الدوائر
٢٣٦	النعت	٢١١	مناقشات
٢٣٩	الابدال الاشتقائي أو المعاقبة	٢١٤	القلب اللفظي
٢٤٢	التعدي وال لزوم	٢١٥	الاعلال
٢٤٢	الافعال « ت »	٢١٧	الاتباع
٢٤٢	التعريب « ت »	٢٢١	المزاوجة
٢٤٣	الاعراب « ت »	٢٢٢	التخفيف بالاسكان
٢٤٣	التذكير والتأنيث « ت »	٢٢٢	فعلية المصدر
٢٤٨	نموذجات من المعجم الجديد		



مَقَامِهِ

للدروس لغت العرب

و
كيف نفع المعجم الجديد

تأليف

عبد الله العلايلي

عُنيت بنشره إدارة

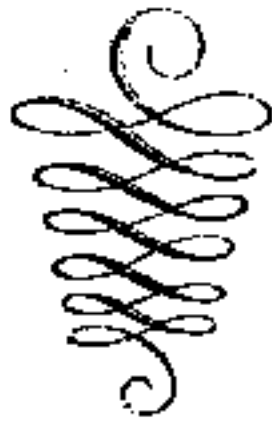
المطبوعات العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦ ، بمصر

ذبياجة

هي ، أي المقدمة ، تبتدىء الدرس على فروع العربية مرة ثانية فتناول النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة وتصل من وراء دراسة موزونة الى إقرار كل شيء في موضعه وعلى اعتباره وهي من وجه آخر حكاية تطور العربية في كل أشيائها . ولا يهولك أنها جاءت كما يكون المخلوق الجديد بكل مميزاته قرب غير معروف صار لا يعرف سواه وشعار كل الدرس الذي اتشرنا به على العربية ككلمة وردت في التصدير :

(ليس محافظة التقليد مع الخطأ ، وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة)
وأنت أيضاً في خلال ذلك بكلام على المجمع ودور التخصص وتناولت الخط العربي والاملاء وسائر شكلية اللغة بحلول هي أقرب من كل ما اقترح حتى اليوم .



تصدير

تبتدى. محاولتى فى هذا الذى اقدمه من مجهود بعمل لغوى بحث . كان القصد منه اولاً ان يكون عملاً قاموسياً فقط . يقوم برم النشر الذى تركه سفةة فى وجه اللغة مد التطور العريض . وليس كذلك فحسب . بل زاد حتى ترك من العربية شيئاً منحللاً متهافتاً لا تستقيم معه على تعبير . ولاتفى بتحديد تام على وجه علمى دقيق . وضرورى ان تكون على هذا التخلف لانا نقصد مجتهدين ان نلز بلغة جلية تعبر عن اهواء وميول وافكار تبعد جداً اشد البعد عنا . نحن اليوم فى كل اولئك جميعاً .

وهذا منطقتى ومعقول لان اللغات التى هى بدون ادنى ريب وليدة البيئات المحدودة بالمستوى العقلى والذوقى معاً . لاتنهض الا بالتعبير عن وسطها الذى انبرعت عنه فى حدود آفاقه على نسبتها من الاتساع والضيق .

والحق لولا مرونة العربية الطبيعية . ولولا ما افاض القرآن عليها من معنوية قوية لوقفت فجأة ولتخلفت دفعة واحدة بدون هذا التريك البطيء . على ان هناك سبباً آخر هو كل السبب فى واقع النظر وفى الواقع الصحيح ايضاً واعنى به المدرسة اللغوية التى قامت كذا محافظة على نحو تقليدى محض ظهرت فائدته فى اول العهد الذى كان الغرض منه الجمع والرواية لياتى على اثره الدرس والاجتهاد عليه . لا ان يظل كذلك رواية وتقليداً فى شكل الحركة ولون الصيغة على موردهما من المادة .

ولقد شعر بضعف هذا الاساس الذى يقوم عليه درس العربية . متأخرو اعلام هذه المدرسة فاتجهوا اتجاهاً آخر فيه نوع من تحلل . ولكن لا يبلغ الغرض المطلوب . واذا كان لنا ان نصفه فقد نصفه بانه شكلى صرف خذ مثلاً ابا على الفارسي فى كتاب القياس . وابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة والخطاطيات . وسائر كتبه التى انكشف فيها عن اراء لها قيمتها ولها سموم ملحظها العبرى . تلبس الاثر المدرسى متجسماً على نحو لا يسمح لهم بالاستفادة من الاتجاه العصرى الجديد الذى اخذوا فيه وخطأ هذا الاساس التعليمى من وجوه .

(١) انه طريقة استدلالية ضعيفة جداً ان لم نقل عليها بانها تهافت محض وخلف وذلك لانا نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصبح عليهما ويقرر منهما مذاهب متشعبة . وعنه نشأ تزايد الاقوال فى المسألة الواحدة ودعوى الشذوذ كثيراً عندما يعثر على الشاهد لا يتمشى مع مقتضى النظر . واذا اصح لهم الاستقراء احياناً فانهم يفقدون المقارنة دائماً .

(٢) انه حمل على الترويح للزيف فانا لانكاد نطمئن الى كثرة من الشواهد التي تنصب في مجال الخلاف . ونحن على حق في عدم الاطمئنان . فان نظرة عابرة تأتي بها على مثل خزنة الادب للبغدادى وشواهد العيني . تجعلك تنطوى على حذر غير قليل . وتفوت الحصر الطرائف التي تذكرها كتب النوادر عن اختلاق اللغوى بسبيل تأييد وجهة نظره .

(٣) انه افسح المجال للعرب والتعريب بصورة مطلقة .

(٤) انه دعى الى الوضع الخاطيء الذي تولاه الفنى والعالم . فكل الاوضاع التي عرفناها في العلوم والصناعات والحكومة لا يمكن ان تنسب الى الشعبة اللغوية بحال . فهي جهد من جهد العالم والفنى والحكومى . وزاد بهم التحرج الى حد انهم لم يذكروها في معاجمهم . وانما تولاها بالحصر ارباب العلوم انفسهم . خذ الكليات والتعريفات ودستور العلماء واصطلاحات المتصوفة . ومن قبلها الديوان للاسعد بن عماتى وصبح الاعشى وهكذا مما تسقط على الشاهد . بان اللغويين لم يكن هذا من عملهم ولا كانوا راضين عنه ايضاً .

وكما قلت في سالفه المقال لم يكن من قصدى في اول الامران اتجاوز العمل القاموسى الى هذا الاخذ العريض . الذى يتناول العربية فيما استقرت عليه من القواعد ومناقشة هذه القواعد ان كانت صحيحة ام لا . ثم مجاوزة المناقشة الى شىء غير قليل من التصحيح فيما احسبه كذلك .

وانما كان منى هذا التزيد وتلك المجاوزة لانه لن يتأتى لى ما اقصدته على وجهه من الدقة بدون ان آخذ فيما اخذت به . وهى دراسة في غير ما تكون من قصدى او دون القصد جاءت في مناسبتها من الحاجة والتساؤل .

والشئ الوحيد الذى ترمى اليه مجموعة ما اتبيننا به من امرها ان ما ثقناه ولا نزال نتثقه اصبح في حاجة كبرى الى معاودة الدرس مرة اخرى . وتجديد تدوينه ثانية على وجه يكون اقرب مجازاً . واكبر حظاً من العقلية . واوفر نصيباً من الصدق . ولربما كان هذا العمل متيسراً لنا ونحن اليوم . لانا قد اصبحتنا وبين ايدينا اشياء كثيرة مما تبلغ بنا الى ما نريد وتفضى بنا الى الغاية من اقرب طريق . وبالاخص حينما تقدم بين يدي بحثنا الجديد نتيجة ما اتبناه الى وهى نتيجة مهما قلنا فيها ومهما احصينا من اوهاما فلا يسعنا الا ان نعتد بان فيها كثيراً من الواقع ونقف من مجموعها موقف التقدير .

ويسرنى في هذا الدرس الذى يبدو ان لانكون شخصيين في نتائجه ولو على مقدار فيجعل فيها سيويه والكسائى مرة اخرى . بل علينا ان نعطي نتيجة جماعية او اجتماعية تفنى فيها الفردية تماماً وتذوب . هذه الفردية التي كانت وتكون على الدوام مبعثاً للاتصار العصبي . على ان مما تخشى بوادره الاختلاف القطرى الذى نرى اثره في البيان مستفحلايين

ما يريد جماعة ان ينعته بنعت اقليمي . فيكون منه ادب مصرى وسورى وعراقى وهكذا وهو اختلاف لا يرهب امره اذا ظل في محيط البيان غير متجاوز له . بل على العكس ربما كان مفيداً جداً اذ يحمل على المنافسة التي توفر الانتاج وتقرى على التجديد من حواشيه ولكنه وييل الاثر اذا انتقل الى المحيط اللغوى البحت على مقدار ما هو في نظري صالح في حدود البيان . واظنه غير منتقل اذا اخذنا باعداد متن اللغة اعداداً صحيحاً وافياً بحيث لا يستضيق عما يطلب له ويستخدم فيه . بل من شروط ما به نأمن شعوب هذا الاختلاف . ان يكون متن اللغة مادة حقيقية للفكرة لا اداة فقط تستخدم للكشف عنها وقد يرى غريباً ان تكون اللغة كذلك مادة تعين على التفكير . وهو حقيقة غريب في بادى النظر . ولكن من يعاطى شأن البيان سواء في التراث والنظم يستطيع ان يرى هذا شيئاً واقعاً وحقيقياً للغاية

فكثير ما يكون خيال الفكرة هزيباً ليس على شيء من الابداع العبقري . وليس على شيء من الافتنان الناقد . ولكن لا تكاد تتناول الالفاظ حتى تبعته بعثاً آخر . وتخلقه خلقاً اوفى . فيه قوة وتفوذ ودقة وخلق . بل كثير ما تغير في مذهب التفكير عما يجعلنا ندين الفكر الحكيم والصور العبقريه في جوانبها الخاصة للالفاظ واللغة . وعليه جانب من براعة الخيال يرجع الى اللغة التي افرغت عليه ما افرغت وزودته بكل ما نسميه بسمو الفكرة حيث تطالع الانسان في دهشة باللغة ومطرقة ايضاً واقرب شاهد اسوقه لهذا قول ابي العتاهية في ارجوزته المشهورة :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

قف عند تعبيره الخلاب (روائح الجنة) الذي تسقط منه على سرى من المعنى لانظن ابداً بان صورته كانت كذلك على تمامها وبكاملها في خيال ابي العتاهية وانما هوس فيوضات الالفاظ وحدها وهو سر اللغة وسحر البيان . واليك ما يقوله ابن بابك ايضاً

« الاليت شعري هل ايتن ليلة لقي بين اقراط المها والمحابس »

فان من يتنوق مقدار ما افاض تعبيره (لقي) على جمال الصورة التي يريد ان يظهرنا عليها حيث رسم لنا في خط شديد الوضوح ما كانت عليه المقامة من غمرة في مستوى الشعور الطافح على سداجة غير متكلفة . وسننوق كثيراً من هذا في فصل (اللغة غاية لا وسيلة) .

واظنني قد انتهيت الى ما من قصدي ان انتهى اليه . وان اقرره في صراحة ولقد تقدمت ببعض منه . وهو ان الضرورة اصبحت تدعو الى تغيير منهاج دراستنا اللغوية وطريقة قياسها في الوضع والاشتقاق وما يتبعه من اشكال الاستعمال . ولذا اثرناها مناقشة ضافية

الذيوله ليس من غرضنا فيها الا ان تكون بعثرة لفكرة المحافظة على التراث الاجتهادى الذى لايزيد عن انه اراء مرسله افضى بها العالم اللغوى واقتنع بها كما اقتنع من قبله الطبيعى واللاهوتى ولكن ما يقتنع به شخص احياناً يجد كثيرين لا يقتنعون به ولا يكاد يطعمون اليه اولا يواتيهم هذا الاطمئنان . على شدة تعرفهم الى تلك الآراء ومبالغة تعلمهم فى ان يقتنعوا بها فزازعوها وخطأوها وازروا عليها كثيراً . وتهانفوا منها اشدما يتعاطى التهانف ورأوا فى انفسهم ما يعتدون به على امثال ابن جنى وهذه الطبقة . وهذا ما يحكىه (١) شيخ الادباء فى القرن الخامس رشيد الدين الوطواط عن فخر خوارزم الزمخشري فى مراجعة كانت بينهما والعجب ان ما نأخذ انفسنا به من تقييم اقلب خشية . واحترام اقلب عبادة . لم يكن حتى متأخرة اللغويين يأخذون انفسهم على نسق من مثل ما تفرض على انفسنا فرضاً عنيفاً ونوجهه ايجاباً قاسياً . لانتسب معه ولو مثالة من التنكب والاخذ فى وجهة اخرى . بينما نجد من متأخرة اللغويين الذين اصبحت اللغة وعلومها عندهم دعائم ثابتة لا مساغ للتردد فيها من مثل الدعامينى والشمى والرضى والجار بردى . كيف يجوزون بسباح وفى غير دهشة لانفسهم الاجتهاد والتنقيح . وهذا العلامة محى الدين الكافيجى النحوى شيخ السيوطى ينفرد برأى اجتهادى حكاه (يس) فى حاشيته على التصريح وحاصله ان توين (اذن) فى مثل (من فعل كذا اذن يحمد) توين عوض والكلام فى قوة قولك (من فعل كذا اذا فعله يحمد) ويرد رأى الجماعة النحوية السابقة . وهو الذى نراه اشد ما يكون محافظة فى رسالته (وجوه اعراب جاء زيد) التى يذكرها السيوطى تليذه فى بغية الوعاة ويزعم انها تقع فى رقم السبعين وجهاً . واليك الراعى الاندلسى صاحب شرح الاجرومية والالفية . فهو يظهرنا فيما على اجتهادات لم يابه لكونها جاءت مخالفة لرأى النحويين . مما يجعلنا ندرك كيف كانوا يفهمون ان التنقيح شئ . يوجب الاحترام ويفرضه التمسك والمحافظة . وليس محافظة التقليد مع الخطأ والوهم وليس خروجاً التنقيح الذى يدل على وجهه ويحقق المعرفة .

ومهما يكن من شئ فقد قررت ما اراه معقول العرب فى اللغة من وجه . ومقابل عثار العربية بحيث بعدها للمستقبل الممدود من وجه آخر . وهى اراء لا اقول بان كلها حق وصدق وان كنت لا اشك فى انها تقارب الواقع كثيراً . واعتقد بان عملية الوضع التى تأخذ غير الطريق الذى تقرر معاملة وتعين حدوده . ليست فى الواقع الا مداورة للغة لا تخدعها ولا تحفظ وجودها فى شئ .

ولقد آن لنا ان نأخذ بمذهب الجد والا وضعتنا العربية فى موضع قلق . لا يتسع لها ولا تقوم فيه . ونحن اذا كنا نجد من مثقفة الجيل . تريباً وانتظاراً للنتائج التى ضمنها لهم

المجامع. فان ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك حيث لا يركنون اليه ولا يابهن له. وسيقدمون على مقدم خطر جداً يعرض الحرية للتلاشي السريع او للانقلاب المطلق. الذي يجعل منها لغتين لغة القرآن. ولغة تبندى في حدود القرن العشرين. تتفاوت كلتاها تفاوتاً يكون لا اقل في اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية. ويكونون من بعد لم يفعلوا هذا الا عن حسن نية وطهارة ضمير واخلاص للغة مع ذلك وخدمة للفكرة العامة. وتبعة كل هذا انما تقع على كاهل اللغويين وخدمهم. الذين وقفوا موقفاً سلبياً لا يجيد عما تواضعه سالفو اللغويين. من معقول لم يكن في اوله الا وهماً خاطئاً. ونتيجة درس غير مستقيم ولا محقق. كما كثير ما نزرع تحت اليوم من تقاليد وعادات. لم تكن في الواقع الماضي باكثر من مغالط صيرها التاريخ عقائد. ولا تحقر عمل التاريخ في تأسيس التقاليد وتأكيداتها وتوجيه النفوس وخلقها خلقاً مطلقاً وما اصدق ما قيل (التاريخ مصدر كل وجدان) وكذلك تجد. اذا اخذت في تقدير اثره وتنزيله من الوجهة النفسية. والتحرر من الانفعال بالتاريخ (كما يقولون) ميزة العبقرى وظاهرة النابغ. وبالجملة فان المجموعة اللغوية التي تلقنها جاهدين وتدرسها مطمئنين ونسير على ازاء منها شديد. ليست الا كمثلها بمجموعة تقاليد فقط وخواطر أو خاطرات. يقدرها اللغوى في غير بعد عن حدود تفكيره وفي غير تناء عن شكل ثقافته. ويؤمن بها ويبشر لها كحقيقة لا ينبغي الريب فيها او الشك. ولقد يكون اكثر امانة لو بشر بها على انها افكار مجردة تعنيه بالذات اكثر مما تعنى اللغة. ويكون من بعد قد ادى الواجب العلى في غير مكابرة لغوب. واما ان يعالّن بهذا الشكل الذى بصورها وكانها ملحظ العربى. ومذهبه الوضعى وينحلها شواهد ما اراد كثرة فهذا ما نأخذهم به في غير لين.

والمضحك في استشهادهم احياناً تنازع الشاهد الواحد لمذهبين ونصبه دليلاً على جمع الرايين من نحو قول الشاعر : كأن ظية تعطو الى وراق السلم . .

ويقين انى لا اجد منصفاً يتقن وسائل الدرس. يرتاب في ان تقديرات اللغويين التي ندعوها اليوم علم اللغة. لا تتجاوز كونها من هذا النوع الذى نسميه (الفكرة الشخصية) فهي تعبر عن ملحظ مقدرها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب انفسهم. وعليه فن العبث البارد جداً ان تقف عند حدود ما سمعته قياساً وسماعاً الذى ستجد في فصل (السماع) من المقدمة ان انبساطه لم يكن الا على كثرة الورود وقلته. وان نعجب من بعد فلقولهم على لسان ابى عمرو بن العلاء في عبارة (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لا تنهى اليكم علم وشعر كثير) وفي عبارة (انما نحن بالاضافة الى من قبلنا كبقل في اصل رقل) فإى معنى اذن لقلة الورود الا الضياع وعدم التحمل. . . ومن هنا نجد للجماعة تفاوتاً منطقياً يقضى بالتناقض التام. على اتنا بين هذا وذاك. نستطيع ان تهمهم بالتهجم على العربية تهجماً لا يميزه هذا الورع الذى يأخذون الناس به واعنى به جمع لغات

الجزيرة وبعبارة أدق لهجات الجزيرة. والمداخلة بينها مداخلة مطلقة في غير تمييز ولا تنبيه والاستنتاج منها هكذا مجتمعة قواعد اللغة. وبينها ما نعلم من اختلاف شهدوا به بصورة مؤكدة. وان كنت ستجد انا لا تقر هذا الاختلاف على معنهم به وانما تقول بانه تطور فقط يأخذ سنة ارتقائية. ولكنه منا اخذ بمنطق الجماعة على سبيل التنزل لبيان مقدار التناق على مواطن الرأي. وربما تأتي لنا تعليل هذا الموقف المتفاوت باسباب اهمها:

عدم تفاهم المصريين البصرة والكوفة. واتخاذ هذا الاختلاف صبغة تعصية صرفة فتشددوا بمنطق السماع وعدم الحفظ أخذاً على منهب الخصوم. وليس معنى هذا ان السماع كان من اوله كذلك. ولكن اريد ان اقول بان هذا الاتزاع الشديد فيه هو من جرى التعصب القائم والتعامل البالغ.

وهذا ما أخذ شعروا به ولكن سمعه تنقيحاً واليك ما يحكونه في هذا الصدد قالوا (١)
[ينظم التنقيح للغة العربية بأربعة ادوار :-

(١) كان يعمل يعرب بن قحطان (٢) كان يعمل اسماعيل لما اصهر الى جرم
(٣) كان يعمل قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام (٤) كان يعمل علماء المصريين اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب لم تحتك بغيرها الخ]

في هذا تنظم ادوار التنقيح عندهم وما احرانا ان نأخذ بسبيل لا يخرج على العربية في اساسها ابداً ويكون من بعد اقل ابتداعاً من اخذهم السابق ونسبه تنقيحاً خامساً وسترى أنه ينحصر عند رأبي :

(١) في حذف السماع من اللغة الاعلى المعنى الذي اقررتاه في بحث (السماع) من المقدمة .

(٢) في اباحة صوغ موازين الثلاثي برمتها من اى ثلاثي وكذلك موازين الرباعي (٣) في تخصيص الموازين مفردة او بمجموعة بدلات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد (ففعال) ينحصر بما يدل على الزائدة (auto) في الاجنية و (فعالية) ينحصر بما يلاقي في الاجنية (ism) وبذلك تسهل مهمة الوضع ويكون ايضاً اكثر علية .

(٤) في توحيد معاني المشتقات جميعها للمادة. على شكل ان تتوسل بورود المرجاس من رجس بمعنى مقياس الماء الى ان نشق من رجس بمعنى قياس الماء. وليس في هذا خروج على مذهب الوضع العربي. فلن العرب قالوا (رجس الماء بالمرجاس) قاسه وقدره وعليه قد ا كتبت مادة الاصل من معنى الفرع بالتخصيص . واليك مثلاً آخر من

(١) راجع خطبة حنفي ناصف ص ٧٦ من مجموعة خطب نادي دار العلوم